رأي جديد في المرّيخ

ما زال علماء الهيئة يبحثون في تحقيق ما يُرى على سطح المرّيخ من المناظر الغريبة ولا سيما امر هذه الخطوط او الجداول المتقاطعة التي تظهر على عامّة وجههِ مما لا يكون الا صنع خليقةٍ عاقلة ومما يفوق قدرة كل خليقةٍ بشرية . وقد وقفنا على رأيٍ جديد في تعليل هذه المرئيات للمسيو لُذويغ كانّ احد مشاهير علماء الالمان فاحببنا تلخيصهُ لغرابتهِ ونحن لا نقطع بشيءٍ من صحّتهِ او عدمها وان كان الكثير منهُ غير بعيدٍ عن مظنة الاحتمال

وقد بنى رأيهُ هذا على افتراض ان المرّيخ احدث عهداً من الارض وان سطحهُ بجملتهِ مغمورٌ بالماء . قال فالاقليم في هذا السيار اقليمٌ بحريّ وجوّهُ ليس بالشديد البرد في الشتاء ولا الشديد الحرّ في الصيف كما ان جهاتهِ الاستوائية ليست بذاتِ حرٍّ لافح وجهاتهِ القطبية ليست كذلك ذات بردٍ قارس ولذلك فان الثلج الذي يتراكم عند قطبيهِ زمن الشتاء يذوب بجملتهِ في فصل الصيف . اما جوّهُ فمن المحتمل ان يكون مؤلفاً من مثل عناصر جوّ الارض ممزوجةً على النسبة نفسها الا انهُ ارقّ منهُ فهو يشبه جوّ الجبال العالية عندنا وبخار الماء فيهِ اكثر . ولما كان الهواء هناك بهذه الخفة كان ولا بد كهواء جبالنا قليل الامتصاص لاشعة الشمس فيترتب على ذلك ان سطح السيار يصل اليهِ من الحرارة اكثر مما يقدَّر بالقياس الى بعدهِ عن الشمس

ثم انهُ لشدّة وقع اشعة الشمس على السيار يمتنع نشوء غيوم نهاراً

ولكن في مدة الليل يبرد الجوّ فيتألف هناك ضباب وسحاب تظهر اطرافهُ مُطِلّةً من حيال كُفّة السيار اي الخط الفاصل بين النهار والليل منهُ وهي التي يتوهمها الراصد من هنا رؤوس جبال وهذا السحاب يمطر على السيار مطراً غزيراً يتحول في جهة القطب الشتويّ ثلجاً

ولما لم يكن شيءٌ من البرّ بارزاً على وجه السيار وبالتالي لم يكن ما يوجب تغير الحرارة الموضعية فجوّ السيّار يلبث ساكناً ولا يحدث ثَمّ شيءٌ من الزوابع بل الريح هناك غير معروفة ولذلك يكون البحر ابداً ساكناً وينشأ على وجههِ ضربٌ من الطُحلُب (وهو طحلبٌ ذو خلايا مفردة هلامية البنآء) ينتشر حتى يغطي وجههُ بجملتهِ فيظهر لون هذا الطحلب من الارض احمر ضارباً الى الصفرة وهو ما نتوهمهُ من هنا برًّا

ثم ان الحرارة المتوزعة على النواحي المختلفة من سطح السيار تعدّل ولا بدّ بما يحدث هناك من المجاري البحرية واذ ليس لهذه المجاري ما يعترض في سبيلها ويحرفها عن اتجاهها لا تزال سائرةً في طريقٍ مستقيم فتزيل ما على وجه المآء من الطحالب التي تكون على خطّ مرورها فيظهر مكانها كانهُ جدولٌ مستقيم ممتدٌّ على وجه السيّار . ثم ان هذه المجاري متى بلغت آخر شوطها تنتشر وتستعرض فيحدث هناك حركةٌ في المآء تبدّد ما على وجههِ من النبات ومثل ذلك يحدث عند اول انطلاقها قبل ان تستدقّ فيُرَى هناك في الحالين ما يشبه منظر البحار وربما تجمعت في وسط هذه الحركة طحالب لا تخترقها الحركة المذكورة فتشبه الجُزُر وحيثما تقاطع مجريان ينشأ في موضع تقاطعهما حركة ينفرج بها الطحلب على شكلٍ مستدير

فيُرَى هناك ما يشبه البُحَيرة

اما ازدواج الجداول فانهُ عند ذوبان الثلوج في النواحي القطبية تنشأ بجانب تلك المجاري مجارٍ أُخر تزيل الطحالب من امامها فتظهر تلك الجداول مزدوجةً وما يُرَى بين كل جدولين من الخطوط الصافية اللون انما هو الطحالب الباقية بين المجريين . ومثل ذلك يقال في ازدواج البحار والبحيرات

ولما كانت الحوادث الجوية تتجدد سنةً بعد سنة بتجدد اسبابها لزم عن ذلك ان الجداول نفسها تعود كل سنةٍ الى مواضعها التي كانت فيها من قبل . الا ان هناك تغيراتٍ في الاقليم الواحد بين سنة وسنة على حدّ ما يحدث في الارض وربما توالت على ذلك عدةٌ من السنين فتنحرف المجاري البحرية عن اتجاهها وقد لا تظهر البتة وتظهر مجارٍ غيرها وهذا هو السبب في تبدُّل اتجاه الجداول الذي طالما كان لغزاً لا يفسَّر

والحاصل ان جميع التشكلات التي ترَى على وجه هذا السيّار مماحيّر علماء الرصد ولم يهتدوا الى معرفة علله انما هي صادرةٌ عن هذا النبات بحيث انهُ تارةً ينكشف برمته فيُرَى المآء قاتم اللون وما حولهُ من النبات محمرًّا الى الصفرة فيُتوهم أن هناك بحراً وبرًّا وتارةً لا ينكشف فيُتوهم ان البحر قد تحوَّل الى برّ وتارةً تتفرق اجزآؤهُ وتبقى طافيةً على وجه المآء فيُرَى ان لون الموضع قد تغيَّر الى غير ذلك من المناظر التي تعود بجملتها الى مثل ما ذُكر

تلك هي الحال التي عليها المرّيخ اليوم وهي اشبه بحال الارض حين كانت في العصر الفحمي بحيث ان الراصد لهُ بالمِرقب يشاهد منظر الارض بشكلها الذي كانت عليهِ منذ آلافٍ من السنين كما ان طبقات العصر

الفحميّ في الارض تمثل لنا من احوال المريخ ما لعلّ اكمل الآلات في المستقبل لا تقوى على كشفهِ . فلنا من ذلك ان المريخ وان لم يكن فيهِ برٌّ ظاهر فقد لا يخلو من جزائر متفرقة او مجتمعة كما لم تخلُ الارض من مثل ذلك في عصرها المذكور . غير ان تلك الجزائر لصغرها بالقياس الى حجم السيار او لالتباسها بما يحيط بها من الطحالب لا تتميز لنا لكن يمكن ان يُستَدلّ على بعضها بظهور نقطٍ من سطح السيار يتأخر ذوبان الثلج فيها او يظهر فيها قبل ظهورهِ في غيرها وربما رؤي شيءٌ من تلك النقط في النواحي الاستوائية مما يدلّ على وجود قمم جبالٍ عالية . وقد يُستَدلّ عليها من اتجاه بعض الجداول حيث لا تطّرد على استقامة خطها ولكن تدور منحنيةً مما يشير الى وجود عائقٍ اعترض مجراها فدارت من حولهِ

هذا جلّ ما جآء في كلام هذا العالم وهنا اطال في بيان العصر الفحميّ في الارض اي العصر الذي تكوّن فيهِ الفحم المعدنيّ ووصف ما كانت عليهِ حالة الارض اذ ذاك ثم ما تلا ذلك من ظهور العضويات الحيوانية الى غير ذلك مما لا يتسع هذا المقام لنقلهِ ومما لعلهُ يفضي الى ملل المطالع . ولا يُنكَر ان بعض ما جآء في هذا الفصل لا يسلم من الاعتراض ولا سيما ما ذهب اليهِ في مسئلة ازدواج الجداول والبحار ولكن يمكن ان يتركب من هذا المذهب ومن سائر المذاهب التي سبقتهُ ما يكون ادنى الى الحقيقة او ما يكون اقرب موافقةً للمعقول واشدّ انطباقاً على الاصول العلمية الى ان ينجلي الامر مؤيداً بالدليل الحسّي مما تتكفل بهِ العصور الآتية والله اعلم

ترويض السباع

المراد بالسباع كل ما يفترس من الحيوان كالاسد والذئب والنمر وغيرها واحدها سَبُع وزان رَجُل . ولا يخفى ان رياضة هذه الحيوانات من اصعب الامور معالجةً واشدّها خطراً بحيث انهُ ان غفل الرائض عن نفسهِ طرفة عين لم يأمن ان يكون فيها هلاكهُ

وقد وصفت احدى المجلات الانكليزية الاطوار التي يتنقل فيها احد السباع الى ان يبلغ الطَور الذي ينقاد فيهِ لارادة الانسان قالت وهذا النوع من التأديب هو بلا ريب من اشقّ الامور على التلميذ وعلى المؤدّب ولا بدّ للمؤدّب في معاناتهِ من صبرٍ طويل وهو اول ما ينبغي ان يوطّن نفسهُ عليهِ ثم لا بد لهُ مع ذلك من دُربةٍ وحذق وخفةٍ طبيعية وشجاعةٍ متناهية

ومما اتفق عليهِ الرُوّاض ان رياضة السَبُع المولود في البرّ اسهل واقرب منالاً من رياضة المولود في اسر الانسان وذلك ان الحيوان البرّي يؤتى بهِ من الصحارى والغابات فلا يصل الى مكان الرياضة الا بعد سفرٍ طويل يقضي في اثنآئهِ عنآءً شديداً بدوار البحر وقلة الغذآء ومقاساة السجن الشاقّ مع ما ينالهُ من الدهش بنقلهِ عن حاله التي ألفها في البرّ الى مثل هذه الحال من الأسر والضيق فيخرج من البحر ضعيفاً كمداً منكسراً . ثم انهُ لا يمضي عليهِ بعد ذلك الا ساعاتٌ قلائل حتى يرى نفسهُ في داخل قفص فسيح ينتعش فيهِ بعد ذلك الكرب ويستريح من عنآئهِ ويجد امامهُ غذآءً شهيًّا فيحدث عندهُ من تلقآء طبعهِ ميلٌ الى الانسان لانهُ يرى نفسهُ قد

انتقل عندهُ الى هذه الحال الطبية ولذلك يكون متأهباً لقبول الرياضة من غير مقاومة . وبخلافهِ المولود في الأسر فانهُ لاعتيادهِ من اول وجوده قرب الانسان ومخالطتهُ لا يخافهُ ولا يشعر بحاجتهِ الى احسانهِ ومع احتماله وجود الرائض في داخل قفصهِ فانهُ عند اول مرة يضايقهُ او يهمّ بمعاقبتهِ على امرٍ من الامور يثب الى عنقهِ ولذلك تكون رياضتهُ شاقةً وقلما تأتي بثمرةٍ ترضي

اما طريقة ترويض الحيوانات فمن الصعب ان يُرسَم لها قانونٌ مطَّرد لانَ من استطاع رياضة اسدٍ او نمرٍ مثلاً قد لا يستطيع رياضة اسدٍ او نمرٍ آخر وذلك ان ما اشتهر في طبائع هذه الحيوانات من ان الاسد مثلاً شرس وان النمر غدَّار لا يجوز تعميمهُ في جميع النوع ولكن لكل فردٍ شيئاً في طبعهِ يمتاز بهِ عن سائر افراد نوعهِ فينبغي ان يُعامَل بحسب ما هو عليهِ مما يتوصل الرائض الى معرفتهِ بالتجربة . على انهُ من المحقق ان اناث هذه الحيوانات اسهل رياضةً من ذكورها واقلّ خطراً

وليقف المطالع على نموذج من نوع هذه الرياضة نذكر كيفية ترويض اسدٍ في عمر سنتين بعد أن جيء به من نواحي افريقيا واحتمل مشقات السفر الى انكلترا

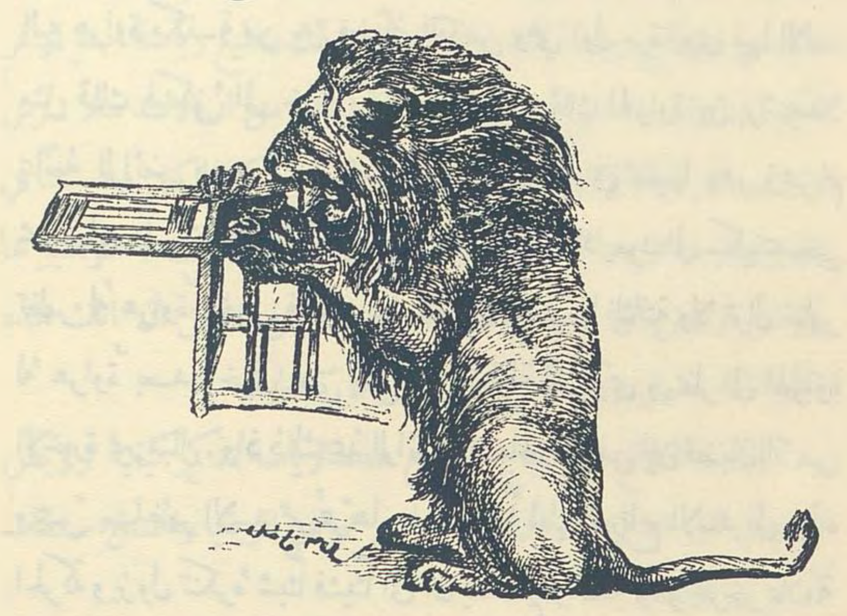
فانهُ بعد ان يستقرّ في قفصهِ يختلف اليهِ الرائض بطعامهِ فيصير من مألوفهِ انه متى رأى الانسان يدنو منهُ اتخذ ذلك دليلاً على حضور الطعام فيستأنس بقدوم الرائض عليهِ . ومتى حضر اليهِ بطعامهِ يكلمهُ من وراء القفص بنغمةٍ لطيفة لان اول شيء يعرفهُ الاسد من الرائض صوتهُ ولذلك ترى رُوّاض الاسود يتكلمون كلما دنوا منها . و بعد أن يأتي اليهِ قطعة اللحم

التي يجيئهُ بها يدور مرتين او ثلاثاً حول القفص ليبقى الاسد مستأنساً اليهِ ثم ينصرف . وفي الغد يعود اليهِ فيفعل مثل ذلك وكذا في اليوم الثالث حتى يعلم ان الاسد قد عرف صوتهُ وعلامتهُ انهُ عند ما يسمع كلامهُ يأخذ في الخرخرة (وهي صوتٌ يشبه صوت الهرّة في نعاسها) فيستدلّ بذلك على ارتياحهِ ويعلم انهُ قد خطا اول خطوةٍ في استمالة الاسد الى مودّتهِ وهي السرّ كلهُ في رياضة الحيوان . فاذا رأى الرائض ذلك اغتنم تلك النُهزة فمدّ اليهِ هراوة مكنسة من بين قضبان القفص وهي اول مرةٍ يرى فيها الاسد مثل ذلك فينكفئ الى خلفهِ مُغضَباً ثم يجذب تلك الهراوة بين براثنهِ فلا يمانعهُ الرائض وبعد ان تصير بين يديهِ يأخذ في تقليبها وهو يزمجر ثم يحطّها بين اسنانهِ الهائلة حتى تسقط فتاتاً . ولا يكاد يعود الى سكينتهِ حتى تظهر لهُ هراوةٌ اخرى فيفعل بها كالاولى ثم تتبعها الثالثة ولا تزال تظهر لهُ هراوةٌ بعد اخرى حتى يكلّ من معالجة الهراوَى وينظر الى الهراوة الاخيرة غير مبالٍ . واذ ذاك يمدّ الرائض تلك الهراوة من بين قضبان القفص ويمسّ بها ظهر الاسد ثم يُمرّها عليهِ امراراً لطيفاً فيرتاح الاسد الى هذه الحركة ويزول تنكرهُ شيئاً فشيئاً الى ان يستسلم لرائضهِ وهو يخرخر علامةً على الارتياح

وبعد ان يتكرر عليهِ ذلك مراراً حتى يألف الهراوة يزول شيءٌ كثير من استيحاشهِ وتلين شراستهُ فيجيئهُ صباح يوم ويفتح باب القفص ويدخل عليهِ وهو يحمل كرسياً عريضاً فيجلس عليهِ فاذا رأى الاسد هذا المنظر وهي اول مرةٍ يرى فيها الكرسيّ في قفصهِ يتباعد الى اطراف القفص

ويزمجر فيلبث الرائض جالساً على كرسيه بسكينة وفي يده جريدة يقرأها وهو يراقب الاسد من طرف خفي ويبقى على ذلك مدة ساعة او ساعتين وبعد ذلك يقوم فيأخذ الكرسي ويخرج ويلبث الاسد وحده وهو يتفكر فيما مر به

فاذا كان اليوم الثاني عاد الرجل والكرسي فيدنو الاسد منهُ وهو متحرز واذ ذاك يمد الرجل اليهِ العصا فيتنكر ويتراجع مسافة الى الوراء



ثم يتجمع وقد اخذ منهُ الحنق ويندفع على الرجل بوثبة هائلة وقد فغر فاهُ وفي تلك الساعة يرى الرائض من منظر الاسد ما يدلهُ على ما في نفسهِ وهو الوقت الذي تجب فيهِ الشجاعة ودقة العمل وحياتهُ تكون متوقفة على خفتهِ . فقبل ان يصل اليهِ الاسد ينهض من مكانه ويأخذ الكرسي بين يديه فيجعلهُ بين الاسد وبينهُ فاذا رأى الاسد قوائم الكرسي الاربع في

وجهه يرتدُّ فشلاً ويهوي بصدرهِ الى الارض وهو يزأر ثم يتناول الكرسيّ بانيابهِ ويقضمهُ حنقاً وتشفياً وفي تلك الحال يمدّ اليهِ العصا من وراء الكرسيّ ويضربهُ على خطمهِ ضربةً عنيفة فيزداد غضباً وهياجاً ويثب مرةً اخرى فيعيد الضربة على خطمهِ وفي آخر الامر يبلغ منهُ الكلال فيدع الكرسي ويعود الى زاويتـهِ وقد ذلّ واستكان وفي تلك الساعة يخرج الرائض من القفص ولكن يترك الكرسي

وبعد انصرافهِ يعود الاسد الى هياجهِ فيثب في طول القفص وعرضهِ وهو يزأر زئيراً منكراً ثم يعود الى الكرسيّ فيصيّرهُ حطاماً وتكون عاقبة ذلك كلهِ انهُ يوقن من نفسهِ بالعجز ويطمئنّ الى الاستسلام . وفي اليوم الثاني يعود اليهِ الرجل ومعهُ الهراوة وكرسيٌّ آخر فيلبث عند دخولهِ ساكناً ويقف بعيداً عنهُ وقد ظهرت عليهِ هيئة الانكسار فيأخذ الرائض كرسيَّهُ ويدنيهِ منهُ شيئاً فشيئاً الى ان يصير موقفهُ بحيث تنالهُ يدهُ فيمدّ اليهِ العصا ويمرّها على ظهرهِ فيأنس الاسد بهذه الحركة ويخرخر ارتياحاً واذ ذاك يمدّ يدهُ مكان العصا ويمرّ اصابعهُ على ظهر الاسد وهي الخطوة الثانية في تألُّفهِ واجتلاب مودّتهِ وبعد ذلك يمعن الرجل في التقرب منهُ فيفرك ظهرهُ بيدهِ ويربّتهُ على كتفيهِ (التربيت ضرب اليـد على الكتف قليلاً قليلاً واصلهُ في الصبيّ اذا اريد تنويمهُ) فلا يمرّ خمسة عشر يوماً حتى يتمكن الأُنس بين الرجل والاسد

الا ان هذا الانس لا يزال عرضةً للانتقاض فان الاسد مهما كان مبالغاً في رياضتهِ لا يزال فيهِ شيءٌ من الوحشية التي فُطر عليها فربما تنبهت

فيهِ تلك الوحشية على حين غِرّة فان لم تكن سبباً في هلاك رائضهِ فلا اقلّ من ان يكون منها تحت خطرٍ مستمرّ . انتهى

قِيَم الرجال

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل جرجس افندي همّام

هي القِيَم بها تعتزّ النفوس وتتفاضل الاقدار وهي الاحساب المؤثلة تحوك للمرءِ مطارف حسن الثنآء مطرزةً بخالص الاعتبار والكرامات الادبية يصونها ذووها عن معرّة الامتهان ويتجافون بها عن مطارح الغضاضة والهوان

والقيمة في الاصل هي ثمن الشيء بالتقويم وانما سُمّي قيمةً لانهُ يقوم مقام الشيء . وهذا لا ينطبق على مرادنا اذ لا يصح على ظاهرهِ في الانسان الا في القبائل المنحطة ايام كانت النخاسة مباحةً لمن شآءها فتباع اشخاصها كما تباع البهائم والسلع . وانما نريد بالقيمة هنا ما يحسنهُ المرءُ من الاعمال التي تؤول الى مصلحة المجتمع الانساني وتحسين شؤونهِ الكمالية كما عرَّفها الشاعر بقولهِ

قيمة الانسان ما يحسنهُ اكثر الانسان منهُ ام أَقَلْ

وهي غير المرتبة كما لا يخفى فان المخلوقات المحسوسة على مراتب او طبقات والانسان اسماها مرتبةً لاختصاصهِ بهذه النفس الناطقة دونها . والناس ايضاً على مراتب متفاوتة يتفاضلون على نسبة منزلة هذه النفس العاقلة من سُلَّم العلم والفضيلة . ولكل امةٍ منهم في المرتبة الواحدة قيمةٌ

تقدَّر بمبلغ ما تحسنهُ من الاعمال المذكورة . وكذلك الافراد في الامة الواحدة فان اهل كل مرتبة منهم يتفاضلون بحسب تلك الاعمال

والناس وان كانوا مشتركين في الاصول المقوّمة للنوع فلا تستوي مراتبهم في المدارك فهم يتفاضلون في قوة النطق والتمييز ويفترقون في الذكاء وقبول التهذيب ويسمو بعضهم على بعض في الفضائل ومحاسن الاخلاق فأدنى مراتب الانسان متصل باعلى انواع الحيوان كالهنود في العالم الجديد والزنوج ومن يجاورهم من الامم في اواسط افريقيا الذين لا يرتفعون عن طبقة القِرَدة الاّ قليلاً . وتتزايد في بعض الامم قوة التمييز والادراك حتى يبلغوا من لطافة الحس وصفآء الذهن مبلغاً يقرّبهم من طبقة الملائكة فيمعنون في طلب العلوم ويبحثون عن مكنونات اسرار الطبيعة ويغالبون قواها حتى يذللوها بقوة الاستنباط والابداع ويسوقوها بين ايديهم صاغرةً ويصنعوا بها عجائب باهرات قد يعدها الجاهل ضرباً من السحر . وهؤلآء هم الامم الحاضرة في اوربا ومن يتصل بهم من سكان مهاجرهم الذين ارتقوا بالسعي الصادق والاجتهاد المتواصل الى اسمى مراتب الانسان

ولا يخفى ان الانسان انما يقوم جوهرهُ بهذه النفس الناطقة وهي حالّةٌ بالبدن فهو هيكلها المقدس ومنزلها البديع فلا بدَّ لها من توجيه العناية الى حفظهِ سالماً . وهذا البدن خُلق منتقضاً منحلاً فلا بد لهُ من استمداد الغذآء مكان ما يتحلل منهُ ودفعاً لما يلحقهُ من أَذى الجوع فيتعين على النفس القيام عليهِ بتدبير حاجاتهِ التي تكفل اعتدال مزاجهِ . ولذلك كان اشرف الناس مرتبةً واجلهم شأناً من انصرف في عملهِ الى اشرف ما في الانسان

اي الى النفس العاقلة فجعل همهُ ترويضها في الفضائل وتسديدها في سبل الصلاح وتنويرها في امور معادها وغبطتها الخالدة . وهؤلآء هم خدام الدين القائمون بامر الارشاد وحث الناس على التقوى والخير والمسالمة والوئام حتى يكونوا سعدآء في الدنيا سعدآء في الآخرة . ويلحق بهم في طبقتهم الحكمآء وجهابذة العلمآء المشتغلون بفنون الحكمة وضروب العلم الدائبون في البحث والاستدلال والتدوين والتلقين بحيث يكونون مصابيح للبصائر يخرجونها من ظلمات الجهالة الى نور العرفان ويكونون سبباً في توسيع نطاق الحضارة والعمران . ويجيء بعد أولئك طبقة الاطبآء لان صناعتهم تتعلق بالبدن وهو هيكل النفس المقدس الذي تحرص على سلامتهِ وصيانتهِ من عوادي الاسقام الناقضة لكيانهِ فاذا طرأت عليهِ آفةٌ فزعت بشكواها الى الاطبآء العارفين باسباب الادوآء واعراضها وبالذرائع الواقية والعلاجات الشافية فكان الطب لذلك اجلَّ الصنائع نفعاً واحقها بالاعتبار وشرف المنزلة

ثم لما كان الانسان الواحد لا يستقل بتحصيل حاجاتهِ المعاشية لما يقتضيهِ اعدادها من الصنائع المتباينة والاعمال العديدة التي لا تقوم الاّ بالكثيرين كان بحكم الضرورة منقاداً الى الاجتماع والتعاون فاحتشد الناس في القرى والمدائن يضافر بعضهم بعضاً وبسطوا ايديهم الى اقتنآء الرزق وتأثل العقار وتسابقوا الى اجتلاب المنافع واجتذاب المرافق فاحتاجوا في اجتماعهم هذا الى حاكم يفصل بينهم في خصوماتهم ويَزَع قويّهم عن ضعيفهم . ولذلك وقعت الحاجة الى الخطط السلطانية واستعمال العمّال وانشآء دواوين القضآء لفصل النزاع وحمل الناس على النَصَفة والوقوف عند حدود العدل

والمرء يستأثر بما يحرزهُ من المكاسب والاموال ويفرغ الطوق في الذود عنهُ لانهُ الذخيرة للبدن التي يستمد منها اسباب المعيشة . فهو يدافع من نازعهُ فيهِ واذا استضعف نفسهُ في كف عادية الغريم رافعهُ الى الحاكم يبتغي الانصاف واذا خشي ضياع حقهِ استنصر بالفقهآء والعارفين بالقوانين والاحكام الشرعية يقيم واحداً منهم مقامهُ ويفوض اليهِ امرهُ في المدافعة والمرافعة . ولذلك جآءت منزلة رجال القضآء وسائر من يُرجع اليهم في هذه الحال رفيعةً عند جمهور الامة بسبب الحاجة اليهم في بسط العدل والمحافظة على الحقوق

وكأني بأهل الغرب قد تنبهوا منذ عهدٍ بعيد الى نبالة النفس وخطر ما يتلبس بها في هذا الوجود فالتمسوا لها اسباب السعادة من وجوهها . ولذلك ترى بلادهم حافلة بمعاهد العلم الصحيح يُرضِعون فتيانهم وفتياتهم من لبانهِ ويغذون نفوسهم بما يوافق استعدادهم ويحملونهم على التوسع في المعقولات والتخرج في الرياضيات والطبيعيات وعلى الارتياض بالفضائل ومحاسن الآداب . وقد شرطوا لمدارسهم الجامعة ان تشتمل كلٌّ منها على اربعة اقسام احدها للاّهوت والثاني للفنون العالية والثالث للعلوم الطبية والرابع لشريعة البلاد . وكل منها عبارة عن مضمار تراض فيهِ نفس الطالب في المرتبة التي يرومها فينظر ما يختارهُ منها ويتلقى فيهِ الدروس منتسقة احسن انتساق واذا شآء التوسع فأمامهُ المكاتب الجامعة لاشتات التصانيف مما يتعلق بخطتهِ . وهذه الاقسام الاربعة اي اللاهوت والفنون العالية والطب والشريعة تعرف عندهم بالمهن القانونية

واما سائر مراتب اهل المجتمع كالصُنّاع والزُرّاع والتجّار من اصحاب

جزئيات الاعمال فان اعمالهم اضافيةٌ تكميلية فلا قيمة لاربابها في انفسهم وان كان المجتمع لا يقوم بدونهم . وانما يكون لاحدهم قيمةٌ اذا اقترن عملهُ بشيءٍ من الاربع المذكورة كما اذا كان صاحب الثروة منهم مثلاً ينفق من ثروتهِ على المستشفيات أو المدارس أو اغاثة الفقرآء والعاجزين أو يرفد ارباب التصانيف العلمية ويمدّ اصحاب الاختراعات والاكتشافات لابراز نتائج افكارهم وثمرات اجتهادهم مما يكون فيهِ إسعاد الحالة الاجتماعية أو توسيع نطاق المدارك البشرية . وانظر اين الغنيّ الذي يبذل امواله في مثل هذه المنافع الشريفة ممن ينفقها في الملذات والشهوات والتأنق في الزينة والفخر الباطل أو يحوّل قوة غناهُ الى احتكار اصناف البضائع والمحاصيل واقتطاعها عن اصاغر المتكسبين لينتفع بضرر غيرهِ . هذا اذا لم يتخذ المال عوناً على ارتكاب المنكرات والكبائر كما نراهُ بين كثيرين من اهل زماننا فلا ريب ان من كان كذلك يُعدّ من ادنى طبقات المجتمع واقلهم قيمةً بل قيمتهُ تكون قيمةً سلبية ووجودهُ يعدّ نقصاً في الانسانية لان «قيمة الانسان ما يحسنهُ»

وما للمرء خيرٌ في حياةٍ اذا ما عُدّ من سقط المتاعِ

الترام المعلّق

لا يخفى ان اكثر مدن اوربا الحافلة بالسكان ولا سيما المدن التجارية والصناعية منها لا تزال طرقها غاصةً بأقدام المارّة وآلات النقل والركوب من كل نوع حتى ضاقت بالسالكين ولم يبقَ لهم الا ان يمدّوا السكك تحت الارض أو في الجوّ . وقد حاولوا كلا الامرين فعلاً الا ان الاول فيهِ من

الصعوبة ما لا يخفى مع ما يقتضيهِ من النفقات الطائلة ومع ذلك فقد دفعتهم الحاجة اليهِ في داخل بعض المدن الكبرى فاحتفروا أنفاقاً يَصِلون بها بين بعض اطراف المدينة والبعض الآخر واجروا فيها السكك الحديدية واشهر ما يُذكر من ذلك النَفَق الذي في مدينة لندرا مارًّا تحت نهر التاميز وطولهُ ٤٠٠ متر وقد بلغت نفقتهُ ٦٣٤ الف ليرة استرلينية أو ما يقرب من ستة عشر مليون فرنك

واما السكك الجوّية فأول ما صُنع منها الخط الذي أُنشئ بين كِنجُستُون ودلكي بارلندا سنة ١٨٤٣ اتُّخذ لهُ انبوبٌ من الحديد على طول المسافة التي بين هذين الموضعين وجُعلت في اعلاهُ عرباتٌ تُجَرّ بجذب الهوآء من طرفهِ المقدّم بواسطة آلات تعمل بالبخار . ثم اقتدى بذلك الفرنسيس فانشأوا خطًّا على الطريقة نفسها بين باريز وسان جرمان سنة ١٨٤٧ وطول هذا الخطّ لا يزيد على كيلومترين ولم يُذكر انهُ أُنشئ غير هذين الخطين الا انهما لم يلبثا ان أُهملا لان استعمالهما كان شاقًّا ونفقاتهُ كثيرة . فلما اختُرع الترام الكهربآئي عادوا الى معالجة هذا النوع من السكك بالطريقة الكهربآئية وأوّل خطٍ منها مُدّ منذ عهدٍ قريب بين أَبَرْفَلْد وبَرْمَين بالمانيا وطولهُ نحو ١٣ كيلومتراً

وهذا الخطّ تجري العربات فيهِ على قضيبٍ واحد تحملهُ جوائز قصيرة يصل بينها مشبّكات من الحديد وتختلف فيهِ طائفتان من العربات ذهاباً واياباً . والحركة فيهِ تجري بقوة ٣٦ فرساً ويصلهُ المجرى الكهربآئي بواسطة بكرٍ تجري على سلك مكهرب كما هي العادة ومعظم سرعتها نحو ٤٠

كيلومتراً في الساعة وهي اعظم من سرعة اتمّ آلات النقل المستعملة في اوربا لان معدَّل سرعتها يقدَّر بنحو ٣٠ كيلومتراً . وتَسَع العربة من هذا الترام نحواً من ٥٠ راكباً وكل قطارٍ مؤلف من عربتين ويمكن عند الحاجة ان يزاد الى اربع وهذه الزيادة لا تؤثر شيئاً في السرعة لان كل عربةٍ لها محركٌ مخصوص

وهذا الخط هو اول خطٍّ صُنع من هذا النوع وقد استحسنتهُ مجلات اوربا وجرائدها الا انها لا تزال في انتظار اتمام امتحانهِ حتى اذا لم يكن في استعمالهِ خطرٌ اشارت بتعميمهِ في جميع ممالك اوربا

متفرقات

قهوة التين ـ من غريب ما توصلوا اليهِ في هذه الايام اتخاذ القهوة من التين واول ما ظهر ذلك في جزائر الغرب ثم انتشر في بلاد النمسا وجميع اواسط اوربا . وهي تُستعمل غالباً في غرض قهوة الهندباء المستعملة عندهم اي لمزج اللبن بها وربما مزجوها بقهوة البنّ فشربوها معها فكان لها طعمٌ لذيذ تشوبهُ مرارةٌ فيها شيءٌ من طعم التين

وكيفية صنعها ان يؤخذ زبيب التين الاسود ويحمَّص في طاجن كما يحمص البنّ ويقلَّب في اثناء التحميص حتى يكون عمل النار فيهِ على قوةٍ واحدة منعاً للتشيُّط فاذا اسمرّ وقارب السواد أُنزل عن النار وهو حينئذٍ لا يكون قد جفّ من باطنهِ تمام الجفاف ولكنهُ اذا نُشر في الهواء حتى

يبرد تصلَّب وصار قَصِماً اي قابلاً للانكسار . وبعد ذلك يُطحن بآلةٍ مخصوصة ثم يُجعَل في وعآءٍ مسدود سدًّا محكماً لانهُ سريع التشرُّب للرطوبة وعند ارادة استعمالهِ يُغلى كما يُغلى الشاي

سنو المطر وسنو المحل ـ رفع بعضهم الى الندوة العلمية في ڤينا تقريراً عن المطر الساقط في پادوا منذ سنة ١٧٢٥ وفي ميلان منذ سنة ١٧٦٤ وفي كلوچَنْفرت منذ سنة ١٨١٣ فوُجد ان السنين الماطرة والسنين الماحلة تتوالى وبين الواحدة ومثلها ٣٥ سنة . وهذا جدول السنين المذكورة

السنون الماطرة	١٧٣٨	١٧٧٣	١٨٠٨	١٨٤٣	١٨٧٨	(١٩١٣)
السيون الماحلة	١٧٥٣	١٧٨٨	١٨٢٣	١٨٥٩	١٨٩٣	(١٩٢٨)

سيلٌ هائل ـ حدث في التنكين في ١٢ يوليو الفائت سيلٌ لم يسبق لهُ مثيلٌ في تلك البلاد بل لعلهُ لم يسبق حدوث مثلهِ في الارض . وذلك انهُ عصفت في تلك الناحية زوبعةٌ إعصارية هبّت من جهة مانيلا تحمل خرطوماً (١) عظيماً من المآء انصبت على بلد هانُوْي عاصمة التنكين فبلغ المآء بمقياس المطر في مدة عشرين ساعة ٥٥٠ ميليمتراً حتى كان الناس ينتقلون في الزوارق وطغت البحيرة فدخل مآؤها البلد فكانوا يصطادون السمك في

(١) المراد بالخرطوم هنا ما يحملهُ الاعصار من المآء ويدور بهِ فينتصب عموداً بين الارض والسمآء وهو المسمى عند العامة بالتنين . والظاهر ان العرب لم تعرف هذا النوع من الاعصار ولذلك لم نجد لهُ اسماً عندهم فأطلقنا عليهِ لفظ الخرطوم اخذاً من خرطوم الفيل لما بينهما من المشابهة

الشوارع . وسقط بهذا السيل كثيرٌ من المباني المحدثة وخسفت المجاري القريبة العهد بالبناء وارتفع الماء في محطة السكة الحديدية الى متر ونصف

ارخص جريدة ـ ظهر في ڤينا جريدة اسمها نيوتسيتنج اي الجريدة الجديدة ذات ثماني صفحات ثلاثٌ منها مخصصة للاعلانات والخمس الأُخر للاخبار . وهي تظهر مرتين في اليوم قبل الظهر وبعدهُ وتباع النسخة منها بسنتيم واحد اي نحو خمسَي المليم وهو ارخص ثمنٍ بيعت به جريدة . وارخص جريدةٍ بعدها جريدة الريفورم في بروكسّل وتباع النسخة منها بسنتيمين

فوائد

القهوة والماء المقطَّر ـ حقق بعض المجرّبين ان القهوة اذا أُغليت بالماء المقطَّر (وهو الذي قد قُطّر بالتبخير على النار) كانت الذّ وانفع واطيب رائحةً . وتعليلهُ فيما ذكر ان ماء الينبوع يخالطهُ كثيرٌ من الاملاح المعدنية تُفسِد من خواصّ القهوة بأن تتركب مع ما فيها من التنّين فيكون عن تركبها معهُ جسمٌ صلب لا طعم لهُ ولا يقبل الانحلال وبخلاف ذلك الماء المقطر فان خواص القهوة تبقى معهُ على طبيعتها . فعلى المولعين بالقهوة ان يمتحنوا الامر فانهُ سهل ولا نفقة فيهِ

تنظيف الادوات الفضية ـ تُجعل الادوات التي يراد تنظيفها في محلول من الطرطير بعد تسخينهِ على النار وتترك فيهِ مدة بضع دقائق ثم تُرفع

منهُ وتُفرَك بقطعة من الجلد الناعم

واذا كانت الادوات من النحاس الملبَّس بالفضة فأفضل ما يُستعمل لها ان يُحَلّ ٥٠ غراماً من الصابون الابيض النقي في لتر من المآء الفاتر وتغطَّس الادوات في هذا المحلول وتُفرَك باليد وبخرقةٍ ناعمة ثم تُغسل بالمآء الصافي . واذا وُجد فيها مواضع قد تاكسدت تنظف بأن تُفرك بقطعةٍ من النسيج تُبلّ بالمحلول عينهِ ويؤخذ عليها شيءٌ من ابيض اسپانيا مسحوقاً سحقاً ناعماً

منع زجاج المصابيح من الانكسار ـ جآء في ذلك في احدى المجلات العلمية ما يأتي

ضع الزجاجات في انآء مملوءٍ مآء بارداً وارفعهُ على النار واضف اليهِ قِطعاً من كُسار الملح واترك المآء حتى يغلي ثم خفف النار بالتدريج الى ان يبرد فان الزجاجات بعد ذلك لا تعود قابلةً للانكسار الا نادراً . ويمكن ان يُفعل هذا ايضاً بآنية الخزف المدهون والصيني وكلما كان العمل ابطأ ولا سيما في امر تبريد المآء كانت هذه الآنية امنع

وهناك طريقةٌ اخرى لزجاج المصابيح وهي ان يُجرَح بطن الزجاجة بقطعةٍ من الالماس فلا تعود تنكسر البتة لان هذا الجرح يسهّل تمدُّد الزجاج عند سخونتهِ بحرارة المصباح

مبرّةٌ نادرة

لهجت الجرائد الاخبارية في القطر بما نثبتهُ في هذا الموضع اعجاباً

بفاعلهِ وتخليداً لذكرهِ وحثاً لارباب الثروة واليسار على اقتفآء اثرهِ فيهِ وهو ان السيّدة بتول كريمة المرحوم ميخائيل اثناسيوس من مشاهير اعيان اهل المنيا وارملة المرحوم بطرس مليكة من اكابر وجوه بني مزار تبرعت بخمس مئة فدّان من اجود اراضي مديرية المنيا وقفتها لوجوه الخير فخصصت منها ٥٠ فدّاناً لجمعية المساعي الخيرية في العاصمة و١٥٠ فداناً للمدرسة الاكليريكية و١٥٠ فداناً للمدرسة القبطية الكبرى و١٥٠ فداناً للبطرخانة القبطية . ويقدَّر ثمن الفدان الواحد بألفي فرنك فتكون قيمة ما وقفتهُ لهذه الوجوه الشريفة مليون فرنك وهي مبرّة لم يُسمع بمثلها في هذه الديار بل في الشرق بأجمعهِ . فهكذا فليكن الكرم وبمثل هذا فلينافس ارباب الغنى والثروة الطائلة

خواطر

اذا تعارض الهوى والامكان فجانب الامكان اسلم

اذا كان السخط لا يدفع الواقع فالرضى ارفق بالنفس واستر للعجز

من كان عدوّهُ نفسهُ فلا يتّهم الحوادث

من جعل الشرّ نُصب عينيهِ لم يأمن ان ينقلب شرّهُ عليهِ

ما اسودّ في عين الغبيّ مثلُ يومٍ ابيضت فيهِ امانيُّهُ

حياة السفيه في سكوتهِ وقتلهُ في سكوت غيرهِ عنهُ

من شرّ ما قُضي بهِ على المرء ان يجتمع فيهِ العجز وحبّ الانتقام

اسئلة واجوبتها

غزّة ـ ارجوا اجابتي على السؤالين الآتيين

(١) من المحقق ان إتعاب العين بكثرة المطالعة يورث الحَسَر فلِمَ وكيف يتاتى ذلك وهل يمكن ان يعود البصر الى قوّتهِ الاصلية اذا أُريحت العين او بأي واسطة اخرى

(٢) هل ينتج من استعمال الزجاجات ضرر كما يقول جمهور العامة وبعض الخاصة ايضاً

الياس الحلبي

الجواب ـ اما سبب حدوث الحَسَر فان الناظر الى الاشباح القريبة لا بدّ ان ينحرف وضع عينيهِ بحيث يتألف من مِحوَرَي البصر زاوية قاعدتها الخط الواصل بين الشبكيتين. والمراد بمحور البصر الخط المتجه من الشبح الى مركز البؤبؤ ومركز البلورية. وهذا الانحراف يتمّ بتقلص العضلة الانسيّة المحرّكة للعين بحيث ان العضلة الوحشية تضغط عليها من الجانب الآخر فيستطيل قطر المقلة الذي يمرّ فيهِ المحور وباستمرار هذا الضغط على العين تثبت على الشكل المذكور. ومعلومٌ ان الإبصار يتمّ بانكسار اشعّة المنظورات في داخل العين حتى تتقاطع عند الشبكية فاذا استحال شكل العين الى ما ذُكر تصير اذا وقعت عليها الاشعة من شبح بعيد تتقاطع في نقطةٍ هي اقرب من موقع الشبكية فيظهر لها منظرهُ غير جليّ ولذلك يستعان باستعمال الزجاجات المقعرة لانها تُخرِج الاشعة منفرجة ثم تجمعها العين فتتقاطع عند الشبكية

واما رجوع العين الى ما كانت عليهِ فيتوقف على مقدار الحَسَر وسن الشخص بحيث انهُ اذا كانت هذه الآفة فيهِ قريبة العهد اوكان حديث السنّ فلا يبعد ان تزول بواسطة الراحة او يبقى منها بقيةٌ قليلة

واما ضرر الزجاجات فاذا كانت موافقةً للعين فلا ضرر فيها بل هي تريح العين وتقيها من زيادة الحسَر ولذلك يُستحبّ التزامها في حالي البعد والقرب وفي كل ما ذكر شرح طويل لا يسعهُ المقام وفيما اوردناهُ كفاية

آثار ادبيّة

خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ـ لا حاجة الى وصف ما كانت عليهِ البلاد العربية من انتشار العلم والعلماء وكثرة المصنفين والكتاب ووفرة الخزائن الثمينة المشتملة على كل نفيسٍ من الاسفار مما تعاورتهُ الخطوب والآفات وتناولتهُ ايدي الجوائح والمطامع ولم يبقَ منهُ الا بقيةٌ يسيرة متفرقة في بعض المكاتب . الا ان هذه البقية قلما انتُفع بها للجهل بمكانها او للجهل بما تتضمنهُ لفقد الفهارس التي تشرح للطالب ما في تلك الكتب فكانت مع قلتها وصعوبة الوصول اليها عقيمةً من النفع لا تُتناول الفائدة منها الا بشقّ النفس وجهد العناء والتفتيش

ومن اهمّ الخزائن الباقية لعهدنا الخزانة الظاهرية المشهورة في دمشق وهي تشتمل على مجموع البقايا التي وُجدت في بعض الخزائن المتفرقة في تلك الحاضرة مما غفلت عنهُ عيون الحوادث وتداركتهُ ايدي ذوي الغيرة

وهي تتضمن ما يزيد على ٣٥٠٠ مجلد . غير انهُ لما لم يكن لهذه الخزانة فهرسٌ مفصّل يستوفي بيان جميع ما فيها انتدب لسدّ هذه الثلمة حضرة صديقنا الكاتب الفاضل حبيب افندي الزيات وهو ممن عرف قرّاء الضياء منزلتهُ من العلم والادب فعكف على مطالعة كتبها واستقراء صحفها وقيد عنوان كل واحد منها مع بيان اسم مؤلفهِ والاشارة الى موضوعهِ مما يجعل زائر هذه المكتبة على بيّنةٍ مما فيها ويمهد لهُ السبيل الى الظفر بضالّتهِ منها

وقد صدّر هذا الفهرس بمقدّمةٍ لطيفة نقل فيها خلاصة ما عثر عليهِ من اخبار المكاتب في دمشق قديمها وحديثها ثم اردفهُ باخبار رحلتين لهُ رحلهما الى صيدنايا ومعلولا ويبرود للتنقيب عما هناك من الكتب والمكاتب القديمة فذكر من كل ذلك ما تحسن فائدتهُ ويدلّ على وفرة اجتهادهِ في خدمة العلم وهي ولا جرم الخدمة الصادقة التي لا يُقصَد منها الا مجرد النفع ولا يُنتظَر من ورائها مكافأةٌ ولا عوض لما هو معلوم من ان مثل هذه التآليف لا يكاد يطلبها الا الآحاد من اهل العلم والراغبين في المطالعة والبحث وانما هي كما قال في مقدمة الكتاب مما يتولى نشرهُ الجمعيات العلمية او نظارات المعارف دون الافراد فلهُ في ذلك الفضل الذي لا ينكر

فنثني على حضرتهِ بما يستحقّهُ هذا العمل الكبير النفع ونحث المتأدبين وطلاّب العلم على مقتنى هذا الكتاب اغتناماً لما فيهِ من الفوائد العلمية والتاريخية . والكتاب يقع فيما يقرب من ٢٥٠ صفحة وهو يباع في مكتبة المعارف وفي سائر مكاتب القاهرة وثمنهُ خمسة فرنكات

فكاهات

اللص (١)

في مدينة مانبول من انكلترا محلٌّ يعد من اكبر واشهر المحلات لمبيع الجواهر الثمينة والحجارة الكريمة تقصدهُ الاغنياء واصحاب الملايين من كل فج . وقد تأسس هذا المحل منذ نحو قرن باشتراك ثلاثة من الاغنياء الانكليز يدعى احدهم جونسن والثاني بارلو والثالث دراك . وهو يشغل بناية عظيمة ذات عدة طبقات خصصت احداها للاعمال الادارية والبواقي لخزن المجوهرات او عرضها للمتفرجين والزائرين . وفي الطبقة السفلى سلمٌ يفضي الى طبقة تحت الارض فيها غرفة يسمونها الغرفة الحديدية وهي عبارة عن صندوق كبير جدًّا من الفولاذ (الصلب) ليس لها الا باب واحد متين للغاية كانوا يودعون فيها كل مساء بمشارفة مدير المحل وتحت عهدتهِ جميع الجواهر النفيسة والحجارة النادرة المثال خوفًا من السرقة او من طارئٍ مفاجئ وفي الصباح تُعاد هذه الجواهر الى مواضعها ليراها الزائرون

ولما اتسعت اشغال المحل وكثر المترددون عليهِ عين اصحابهُ مديرًا لاعمالهِ رجلاً نشيطًا حاذقًا يدعى المستر دايل قام باعباء وظيفتهِ حق القيام فتضاعفت شهرة المحل كما تضاعف دخلهُ

وكان دراك احد الشركاء اكبرهم سنًّا . فلما استوفى حظهُ من دنياهُ بعد ما قرّت عينهُ بما ادركهُ من الغنى والشهرة انضم الى آبائهِ فدُفن بالاكرام اللائق بمقامهِ . وكان لهُ ابنٌ يسمى جورج لهُ من العمر عشرون سنة ونيف فرأى الشريكان ان يدخلاهُ في الشركة مكان ابيهِ فاستدعياهُ وعيناهُ محل والدهِ . وكان جورج ابدع شبان البلدة خلقًا وخلقًا وذكاءً ومهارة فلما استلم اشغال والدهِ وتدرب

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

في العمل حدثته نفسهُ باجرآء اصلاحاتٍ عديدة مثل توسيع معرض الجواهر وعرض الاشيآء الثمينة امام زجاج النوافذ وتكثير الاعلانات وما شابه ذلك فلم يوافق جونسن و بارلو على آرآئهِ وخصوصاً جونسن فانهُ اصرّ على ترك القديم على قدمهِ وقال لجورج انهُ يصعب على من كان في سننا ان تغير افكارهُ آرآء فتى نظيرك فما لك الا ان ترضى بالحالة الحاضرة الى ان نموتَ نحن وتصبح انت اكبر الشركآء فتفعل ما تشآء . فاستآء جورج من عدم انقيادهما لتدبيرهِ وكان يتمنى ان يصبح طليق اليد ليفعل ما يشآء وهو موقنٌ بانهُ لو تُرك يعمل برأيهِ لزاد دخل المحل اضعافاً

وشاخ المستر دايل مدير المحل ايضاً وكان لهُ ولد من عمر جورج فاقنع جورج شريكيهِ بوجوب اقالة دايل فاقالوهُ وعينوا لهُ معاشاً شهرياً يتقاضاهُ مدة حياتهِ وعينوا ابنهُ المذكور عوضاً عن ابيهِ فكان جورج يرتاح الى معاشرتهِ لانهُ من سنهِ ولان درجة عقلهما متساوية . وحدث يوماً ان كان الاثنان يتذاكران في شان المحل فقال جورج انني اودّ اجرآء اصلاحاتٍ جمة في المحل ولكن شريكيَّ يعترضان في اتمامها لان عقلهما قد اضعفهُ الهرم فلا يدركان فائدة هذه الاصلاحات التي يقتضيها زماننا الحاضر ثم هما لا يثقان بمقدرتي على الادارة ويزعمان انني لا ازال فتًى لا اضطلع بمثل هذه الاعمال . ولذلك فاني لا بد ان اعمل شيئاً يريهما مقدرتي فيتنحيان عن العمل ويتركانني فيهِ واذ ذاك فسأفعل بمساعدتك ايها العزيز افعالاً ترفع لنا اسماً لم يصل اليهِ محل تجاري من قبل . ولا اكتمك انني على اهبة الزواج وخطيبتي اجمل واكمل فتاة في المملكة فلا احب ان اصبح بعلاً لها الا وانا وليُّ امري ومطاق السيادة في اشغالي . فقال دايل ومن هي يا ترى هذه الفتاة التي تخدمها السعادة في الحصول عليك . قال هي ابنة شريكي بارلو واسمها هنريت فهل رأيتها في زمانك يا دايل . قال نعم رأيتها مرةً واحدة فلم اصدق انها بشر بل انها ملك هبط من السمآء ولقد طالما سمعت حديث الناس عن هذه الفتاة واعجابهم بجمالها حتى محا ذكرها ذكر كل جميلةٍ في هذه الناحية واصبح جميع بنات الاعيان من حسادها . فقهقه جورج ضاحكاً وقد اسكرتهُ خمرة الامل والسرور

وحسر جورج عن ساعد الهمة والعزم فكان يقابل زائري المحلّ بنفسهِ وكانت فصاحتهُ تساعدهُ على اقناع المشترين فلا يترك واحداً يخرج الا ويبيعهُ اضعاف ما في نيتهِ ان يشتري ولم تمضِ عليهِ السنة الاولى حتى أُعجب جونسن وبارلو بمهارتهِ وحذقهِ . وكان جونسن قد شاخ جدًّا فلزم بيتهُ في ضواحي البلدة واصاب بارلو مرض النقرس فلزم بيتهُ ايضاً وترك الاثنان جورج وحدهُ لتولي الاعمال وادارتها بشرط ان يقدم لجونسن تقريرًا يوميًّا عن اعمالهِ . ولما خلا لجورج الجوّ واصبح كما يبتغي مطلق القياد عمد الى اجرآء الاصلاحات التي كان ينويها فاصبح المحل نجعةً للزائرين تقصدهُ السياح من جميع جهات المعمور . وكان جورج لا يألو جهدًا في السفر من بلدةٍ الى اخرى سعياً في مصالح المحل لتوسيع نطاق اشغالهِ وتكثير معامليهِ وزيادة ارباحهِ

وفي ذات يوم بينما كان المدير دايل في مكتبهِ اذا باحد الخدم قد جاءهُ برقعةٍ وقال هذه من المستر جورج وهو ينتظر الجواب في الحال . فقال دايل واين هو الآن . قال في الطبقة العليا مع بعض اصحاب الملايين وقد باعهُ من البضاعة شيئاً كثيرًا . وكان دايل في هذه الفترة قد فتح الرقعة وما اطلع على ما فيها حتى جحظت عيناهُ ووقفَ شعر رأسهِ فمسح عينيهِ بيدهِ كانهُ في شكٍ مما قرأ ثم اعاد القرآءة مرةً اخرى واذا فيها ما يأتي

« عزيزي دايل . اين العقد ذو الزهرة الزمرد فانني لم اجدهُ »

وكان العقد المذكور مصوغاً من اثمن واكبر حجارة الالماس وهو حبلان يتوسطهما قطعة من الزمرد النقي مقطوعة على هيئة زهرة ذات ثلاث ورقات وتقدر قيمتهُ بنحو مئة الف ليرة استرلينية

اما دايل فوثب من غرفتهِ مسرعاً الى ان صار بحضرة المستر جورج فرآهُ منهمكاً بالبحث والتنقيب وحالما وقع نظرهُ على دايل قال لهُ اين العقد يا دايل . قال كان في الصندوق الكبير فقال جورج انا لا اسألك اين كان بل اين هو الآن . فلم يحر دايل جوابًا وجعل يبحث مع جورج وبقية المستخدمين بحثًا دقيقاً حتى كان

العرق يسيل من شعورهم فلم يبقوا زاويةً في المحل الا بحثوا فيها . وكان دايل والخدم يحققون ان العقد وُضع مسآء امس في الصندوق مع بقية الجواهر الثمينة وأُودع في الغرفة الحديدية الا انهم لما اخرجوا الصناديق في الصباح لم يتفقدوا محتوياتها . واذ قد ثبت ان العقد قد أُدخل الغرفة الحديدية في المسآء فلا بد ان يكون قد سرق منها ليلاً ولكن اية قوة ارضية تمكنت من فتح باب تلك الغرفة وهو على ما هو عليهِ من القوة والمتانة . ثم ان جورج ودايل نزلا الى الغرفة الحديدية ففحصاها فحصاً مدققاً فلم يجدا في بابها ولا جوانبها اقل اثر يدل على استعمال ادوات لفتحها . ولما ضاقت بهما الحال جعل جورج يتأسف على ما حصل وهو يقول ان امرًا كهذا سيضر بسمعة المحل ويقلل ثقة الناس بهِ ودايل يقول ان هـذا ضربة قاضية على مستقبلي فسيتهمونني بالتقصير اذا لم يتهموني باني انا الفاعل . ثم صمم الاثنان على ابلاغ الامر الى دار الشحنة والذهاب توًا الى المستر جونسن واطلاعهِ على ما حدث

وكان امام باب المحـل عربة فركبها جورج ودايل واسرعا الى دار الشحنة فاعلماهم بالامر وحرضاهم الاسراع في البحث ثم توجها الى بيت المستر جونسن واخبرهُ جورج بالواقع . فتبسم المستر جونسن وقال اني كنت اتوقع مثل هذا الحادث نتيجةً لما دعوتهُ اصلاحاً في المحل فلا ريب اننا نحن المخطئون في تسليم عهدة محل بهذه الاهمية الى فتيان نظيرك ونظير مديرك هذا . فجعل جورج يقضم شفتيهِ غيظاً وعاد المستر جونسن الى حديثهِ فقال اذاً تتأكدان ان العقد سُرق من الغرفة الحديدية . فقالا نعم . وكانت عيناهُ تقدحان شررًا وهما كمصباحان كهربائيان تتنقلان من وجه جورج الى وجه دايل . فقال انهُ يستحيل فتح الغرفة المذكورة الا من بابها بالمفتاح المخصوص الذي لم يوجد منهُ في العالم الا اثنان فقط . فصاح جورج نعم وأحدهما في هذه السلسلة المعلقة في عنقي وهو لا يفارقني دقيقة واحدة . فقال دايل والثاني في عنقي انا حيث لا يفارقني طرفة عين . فقال جونسن اذاً لا بد ان يداً غريبة احتالت على احدكما في ساعة سكرٍ او اهمال فاخذ رسم المفتاح وعمل نظيرهُ ثم انسلَّ ليلاً ففتح الباب بدون صعوبة واخذ ما اراد ولا يبعد

ان يكون قد فُقد غير العقد المذكور ايضاً بهمة المستر جورج وحسن تدبيرهِ. والآن فهيا بنا فاني سأذهب معكما لمعاينة الامر بنفسي ونهض الثلاثة وجآءوا معاً الى المحل وجورج على احر من الجمر فان كلمات جونسن كانت تؤلمهُ كلدغ العقارب

ولما بلغوا المحل ساعد الجميع جونسن على النزول الى الغرفة الحديدية ففحصها فحصاً مدققاً ثم تبسم باستهزآء وقال لم يكن من داعٍ لاخبار الشحنة بالامر ولكن سأترك الامر لك يا جورج فدبر ما تراهُ . ثم عاد جونسن الى بيتـهِ وبقي جورج ودايل يفكران فيما ينبغي فعلهُ فاستدعيا احد رجال الشحنة السرية وفوضا اليهِ تعقب السارق وكشف مخبآت هذه السرقة الغريبة

ومضى على هذه الحادثة شهران نسي في اثنآئهما جورج امر العقد اما دايل فكان لا يهنأ لهُ عيش وهو لا يفتر عن البحث والسؤال من الشحنة لعلهم عثروا على امر جديد فكان انتظارهُ عبثاً . وبعد ذلك بايام استدعاهُ المستر جونسن اليهِ فذهب مسرعاً ولمـا جلس بحضرتهِ قال لهُ جونسن يا دايل لم اكن اظنك في بدء الامر على ما رأيتهُ فيك مؤخراً من اللياقة للعمل الذي سُلم الى عهدتك مما جعل لي بك ثقة اكيـدة . والآن قل لي هل اطلعتم على شيء جديد في امر السرقة . فقال دايل كلا يا مولاي وانني اتأسف جداً لذلك واود كشف الامر ولو فقدت نصف حياتي. فتبسم جونسن وقال انك ستكشف السارق قريباً اذا تبعت مشورتي. فقال دايل وقد حملق اليهِ ببصرهِ ما عليك الا ان تأمر يا مولاي . فقال جونسن خذ الآن هذا الكتاب الى شريكي بارلو وهات منهُ الجواب ومتى رجعت اعلمك ماذا ينبغي ان تفعل ولكن اياك ان تسلم كتابي هذا الى غير يد بارلو بنفسهِ . فقام دايل للحال وركب عربة اقلتهُ الى بيت بارلو ولمـا دخل قابلتهُ هنريت فحالما وقع نظرهُ عليها سحر بجمالها ووقف امامها مبهوتاً فتقدمت واعطتهُ يدها فاخذها وقبلها باحترام ثم طلب منهـا مقابلة ابيها . فقالت وماذا تريد منهُ قال معي كتاب يجب ان اسلمهُ اليهِ. قالت ان الدآء الذي بوالدي يمنعهُ من مقابلة احد سواي فهات الكتاب وانا ارجع اليك بالجواب . فمد دايل يدهُ الى جيبهِ ثم خطر لهُ للحال ما اوصاهُ به

جونسن فتوقف وقال لا يا سيدتي لا يمكنني ذلك فانا مكلف ان اوصلهُ اليهِ بيدي. قالت أوَلا تأمنني يا مستر دايل . قال عفوكِ يا مولاتي فاني لو كانت حياتي في يدي لم اتوقف ان آمنكِ عليها ولكني قد أُوصيت بما ذكرت لكِ واست حرّ التصرف في هذا الامر . فتبسمت هنريت وقالت يسرني ان اراك تحافظ على ما اؤتمنت عليهِ فسأذهب لاستأذن والدي في دخولك عليهِ . وما غابت الا قليلاً حتى عادت واشارت الى دايل بالدخول فدخل وكان لا يعرف المستر بارلو قبلاً بالوجه فالفاهُ هرماً قد كللهُ الشيب وظهرت آثار المرض على وجههِ فجعلت هيئتهُ مخيفة . فحياهُ دايل فلم يجب فناولهُ الكتاب ففضهُ ولما قرأهُ اظهر علامات الضجر ثم مزّق الكتاب قطعاً صغيرة والقاهُ في النار التي بجانبهِ ثم اخرج من درج في مكتبهِ مفتاحاً ضخماً فدفعهُ الى دايل وقال لا شك ان جونسن قد بلغ درجة الخرف او انهُ عاد طفلاً في عقله فاعطهِ هذا المفتاح وليفعل ما يشآء . فحيَّا دايل وخرج ولما بلغ منزل جونسن سلم اليهِ المفتاح واخبرهُ بما قالهُ بارلو فقهقه جونسن ضاحكاً وقال عسى ان اكون واهماً ولكنني اخشى ان اكون قد اصبت كبد الحقيقة . ثم قال لدايل انهُ يوجد امام الغرفة الحديدية غرفة اخرى خشبية فيها النبيذ المعتق و بعض اصناف المشروبات وهذا مفتاحها فخذهُ واذا اقبل المسآء فاذهب بدون ان يعلم بك احد وافتح الغرفة المذكورة وعالج بعض الواحها حتى ترفعهُ من مكانهِ واسهر عندهُ طول الليل وداوم على ذلك ليلةً بعد اخرى واذا رأيت او سمعت شيئاً فتعالَ اخبرني . وخذ هذه الغدارة لعلها تلزمك ولكن استعملها للتهويل فقط واياك ان تطلقها على احد لئلا تندم واكرر وصيتي ان تكتم هذا السر عن كل مخلوق وانا مؤكد انك ستنال جزآء تعبك فانك اذا القيت القبض على السارق فسيكون لك من المحل جزآءٌ لا تتصورهُ الآن .

فتعجب دايل اشد العجب مما رأى وسمع ولكنهُ لم تسعهُ المخالفة فعاد الى المحل ولما كان المسآء سألهُ جورج كعادتهِ ان يخرجا معاً فاحتجّ دايل ببعض الموانع ولما بقي وحدهُ نزل الى الغرفة الخشبية ففعل كما امرهُ جونسن وجلس ينتظر وهو غارق في بحار الوحدة والتأملات . ولما مضى القسم الاعظم من الليل جعل يشك في تدبير

جونسن ويقول قد اصاب بارلو في قولهِ ان الرجل قد ادركهُ الخرف . وانهُ لكذلك واذا بصوت وطء اقدام خفيفة قد مرَّت بالقرب منهُ فاجفل وصعد الدم الى رأسهِ ثم حبس نفَسهُ وجعل ينتظر فكانت الخطوات تقترب من الغرفة الحديدية حتى وقفت امام بابها وكانت اول طلائع الفجر تنبعث من نافذةٍ في اعالي المكان فيقع نورها على باب الغرفة الحديدية فنظر دايل واذا بهِ يرى فتاة مرتدية بلباس اسود من اعالي رأسها الى قدميها وقد سدلت على وجهها نقاباً اسود . ولو انقضَّت صاعقة عليهِ في تلك الدقيقة لكان احتمالها اسهل مما اصابهُ عند ما تحقق ان الفتاة المذكورة هي نفس هنريت ابنة المستر بارلو . ولم يسعهُ التلبث فخرج من مخبئهِ وكانها سمعت حركتهُ فاجفلت ووثبت الى الجهة المظلمة فتوارت فيها عن نظرهِ . اما دايل فجعل يسير من محل الى آخر حتى زار كل زوايا تلك الدار فلم يعثر على احد فرجع الى مخبئهِ وهو يظن نفسهُ في حلمٍ وان الصورة التي رآها هي تأثير ما شغل فكرهُ من مرأى هنريت في النهار ولكنهُ عاد فتحقق انهُ لم ينم طول ذلك الليل فلا بد ان يكون ما رآهُ حقيقيًّا . ولما تبلج الصباح قام فتوجه الى منزل جونسن فلما دخل عليهِ قال لهُ لا بد انك رأيت شيئًا يا دايل وقد جئت تعلمني بهِ . فقال دايل والاضطراب بادٍ على وجههِ لا يا مولاي لم ارَ شيئًا . وانما . . نعم . رأيت . . ولكن الذي رأيتهُ لا يمكن ان يكون هو السارق بل هو شخص نظيري يسعى في الاطلاع على السارق. فقال جونسن متبسماً ومن هو . قال لا اقدر ان اسميهُ يا مولاي لاني لا اعتقد بجرمهِ . فقال جونسن ولكنك ستعتقد قريبًا حين ينجلي الامر . فصاح دايل وهل تزعم يا مولاي ان تشكو هذا الشخص الى الحكومة أوَلا يهمك ما يجر هذا الامر على شريكك . فقال جونسن بغضب انا لم اشارك سارقًا في حياتي ولم امنع العدل قط من اخذ مجراهُ ولو على ولدي . فتنهد دايل ثم قال اذًا أتسمح لي يا مولاي ان اذهب الى المستر بارلو فاخبرهُ بالامر ليكون على بصيرة . قال لا بأس لكن على كل حال اياك من اهمال السهر كل ليلة كما قلت لك . فقال دايل وهل من الضروري ان اسهر بعد الآن قال نعم اسهر كل ليلة كما فعلت بالامس واياك ان يعلم احد

فخرج دايل وهو كغريق تتقاذفهُ تيارات الافكار وانتحل لهُ سبباً لزيارة المستر بارلو فلم يتمكن من مقابلتهِ ولكنهُ رأى هنريت فدعتهُ لتناول الشاي وجلسا يتحادثان فقالت هنريت يظهر يا مستر دايل ان المستر جونسن يثق بك كثيرًا قال نعم وانا افتخر بذلك . قالت انا لا اشك انك تستحق هذه الثقة ولكن قل لي بربك لو كلفك قضاء خدمةٍ تؤلمك او لو سألك القاء القبض على مذنب عزيز لديك هل تقوم بذلك بدون ان تحركك الشفقة الى مساعدة ذلك المسكين وتسهيل السبل لنجاتهِ . فسكت دايل وهو يناجي افكارهُ وظن ان هنريت ستتوسل اليهِ ان يستر ما رأى او يدخل كشريكٍ في الاثم ولكنهُ عاد فتغلب على صوت الحب وقال ايتها السيدة انني في مثل هذه الاحوال عليَّ ان اتبع واجباتي قبل كل شيء . قالت لهُ انك لتضطرب شديدًا فلا بد انك تظن ايضاً ما يظنهُ المستر جونسن . قال نعم ويا ليتني لم اظن ذلك قط . قالت فاذاً من المحال ان تغمض عينيك عن فعلة شخص تسوءك اهانتهُ . فقال والدمع يطفر من عينيهِ نعم من المحال ان يصدني شيء عن قضاء واجباتي

وظن دايل بعد هذا ان هنريت ستثب اليهِ فتمزقهُ باظفارها ولكنهُ رأى في وجهها علامات الاعجاب بصدق طويتهِ واستحسان منهجهِ ثم قالت اعذرني فقد اخرتك في الجلوس هنا ولا شك ان اشغالك تستغرق كل دقيقة من وقتك . قال نعم فاسمحي لي بالانصراف وخرج راجعاً الى محل الشغل وبرأسهِ حمى محرقة وهو يودّ لو لم يدخل في تلك الخدمة قط ويصل الى مثل هذه الاحوال

وعاد دايل الى سهرهِ كالعادة فمرت عليهِ ثلاث ليالٍ لم يحصل فيها شيء على الاطلاق وداخلهُ فكرٌ في ترك السهر لانهُ لم يعد يؤمل منهُ فائدة ولكنهُ لم تسعهُ مخالفة اوامر جونسن فذهب في الليلة الرابعة كعادتهِ وما انتصف الليل حتى سئم الوحدة وكادت تأخذهُ سنة النوم واذا بهِ يسمع حركة خفيفة فهب مذعورًا ونظر الى جهة الغرفة الحديدية فرأى بابها مفتوحاً فطار رشدهُ ثم قفز بسرعة البرق الى الباب واقفلهُ من الخارج ثم اصغى فسمع كأن جسماً القي على الباب من الداخل ثم تبع ذلك

أنة محرقة جرحت قلب دايل فمد يدهُ الى السلسلة واخذ المفتاح ليفتح الباب ولكنه قبل ان يهتدي الى ثقب الباب رن في اذنيهِ طلقتا رصاص وعقب ذلك سكوت عميق . وكان رجل الشحنة في الجهة الثانية من المدخل فاسرع بمصباح الى تلك النقطة فوجد دايل واقفاً امام الباب واستعان دايل بنور المصباح ففتح الباب فاذا بهِ قد وقع نظرهُ على ما اجمد الدم في عروقهِ فانهُ رأى امامهُ جثة جورج دراك الشريك الفتى هامدة لا روح فيها وقد اخترقت صدرهُ رصاصتان يتدفق الدم من جراحها . فاستند دايل الى الحائط وهو يضطرب من هول ما رأى واذ ذاك شعر بيدٍ لطيفة قد اخذت بذراعهِ وصوتٍ رقيق يقول لهُ لا تخف يا دايل فما عليك من حرج . فنظر واذا بهِ امام هنريت بارلو فازداد دهشهُ وقال وهل انتِ هنا ايتها السيدة . قالت انا هنا في كل ليلة منذ وصل كتاب المستر جونسن الى والدي ولم يكن والدي يعتقد بما حصل اما انا فقد اقتنعت بهِ مثل المستر جونسن لانني وان كنت مخطوبةً لجورج فقد كنت اجدهُ يخفي تحت لباقتهِ ونزاهتهِ بعض قطراتٍ من دمٍ شرير يجول في عروقهِ وهذا ما كان يجعلني انفر منهُ واود ان لا يتم اقتراننا . قال دايل اما انا فلم يخطر في بالي قط والذي ظننتهُ هو ان السارق . . . قالت كنت تظن ان السارق انا وكان والدي يظن ان السارق انت اما جونسن وانا فقد اصبنا كبد الحقيقة

وظهر بعد ذلك ان جورج كان مسرفاً يبذّر مالهُ في كل وجه ولما كان القسم المخصص لهُ من المال لا يكفيهِ للهدايا التي كان يقدمها بغير حساب الى خطيبتهِ والى بنات الهوى في البلاد التي كان يسافر اليها على الدوام ولم يكن من الممكن زيادة المبلغ المعين لهُ جعل يختلس من تلك الجواهر ويبيعها في بلدان اخرى ويتصرف في اثمانها

ورأى جونسن وبارلو ما اتصف بهِ دايل من كمال الامانة والصدق والاستقامة فاحباهُ ثم سعى جونسن فزوجهُ بهنريت واقاماهُ مديرًا مطلق التصرف في المحل وجعلا لهُ من ارباحهِ مبلغاً يضمن لهُ ولأسرتهِ من بعدهِ عيشة السعادة والرخاء

⟵⟶ ⟵⟶